

والعلمانية والثقافية. كانت الدوافع، في معظمها، دينية؛ وكانت الجمعيات الخيرية اليهودية تنفق على المستوطنات والمهاجرين الى فلسطين.

وقد اعتقد الصهيونيون بأن حملة فريدمان كانت سوف تكفل بالنجاح، لو أن السفير الألماني قام بالتدخل لصالحها العام ١٨٩١ لدى الحكومة التركية، لأن ألمانيا الامبراطورية كانت تتمتع بنفوذ يفوق النفوذ البريطاني لدى السلطان العثماني؛ وأن الخطأ الكبير الذي ارتكبه فريدمان يرجع الى اخضاع أتباعه للانضباط العسكري الألماني ووضعهم تحت امرة ضباط بروسيين. ثم اتهم الصهيونيون فريدمان بـ «اليهودي المندمج» الذي دخل في المعمودية واعتبر نفسه ملكاً، وكان عليه ان يدرك انه يتعذر على اليهودي، الذي تعمد مسيحياً، تزعم اليهود، حتى ولو كان ذلك في مستعمرة يهودية. لكن انتقادات الصهيونيين لمحاولة فريدمان لم تنسهم امتداح نوايا فريدمان الطيبة، ومثاليته المخلصة، وأغداق اعجابهم بمغامرته، لأنه جعل الصحافة العالمية تجذب أنظار قرائها الى عبارة «الدولة اليهودية»^(١٩).

ومن العوامل التي ساعدت في التعجيل بضرب مشروع فريدمان ذاتية فريدمان نفسه، حيث تغلبت ذاتيته على موضوع مشروعه. لكنه أثار خيال الآخرين حول امكان ايجاد مستعمرة يهودية على أي أرض، اذا ما خطط لها بشكل يتضمّن مقومات النجاح. وكان من هؤلاء الذين تأملوا في تجربة فريدمان، ثيودور هرتسل، الذي كان على علم بأهداف فريدمان، حيث كان مراسلاً في باريس منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩١ لـ «الجريدة الحرة الجديدة»، التي كانت تصدر في فيينا، والتي نشر فريدمان على صفحاتها رسائل مطوّلة عن المستعمرات اليهودية التي ينوي اقامتها على أرض مدين.

دولة لليهود في أي مكان

لم يكن الصهيونيون يصرون على العودة الى فلسطين لتكون لهم «وطناً» وليقيموا عليها دولتهم؛ ولكنهم كانوا يفتشون على أي أرض لتكون للصهيونية وللمستعمرين قاعدة، ولتكون مأوى لليهود. وكانت المحاولات، منذ القرن السابع عشر، على النحو التالي: دولة يهودية في جزيرة كوراساو في خدمة هولندا؛ دولة في كل من سورينام وكايبان في خدمة بريطانيا وفرنسا؛ دولة في جيانا في خدمة فرنسا؛ كما طرحت دولة يهودية لخدمة الدول الاستعمارية في كل من: انغولا، استراليا، المكسيك، كندا، الأرجنتين، الكونغو البلجيكي، موزمبيق، بيرو، اكوادور، غينيا الجديدة، كريت، أوغندا، بيروبيجان في روسيا، منشوريا، قبرص، ليبيا، سوريا، العراق، مصر، فلسطين^(٢٠). وهذا معناه انه لم يكن هناك وطن محدد يريدون العودة اليه. كتب ابراهام ليون في كتابه «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»: «كيف يمكننا ان نصدّق بأن علاجاً موجوداً منذ ألفي سنة لم يجر اكتشافه إلا في نهاية القرن التاسع عشر؟ لماذا لم يحاول اليهود، خلال الألفي سنة هذه، العودة الى وطنهم؟ ولماذا وسم جميع أسلاف هرتسل، كشتبائي زئيفي، بالدجالين؟ ولماذا تعرض أتباع شبتاي زئيفي للتشكيل الوحشي من قبل اليهودية الرسمية؟».

وأشار ليون الى ان الصهيونية ظهرت كردة فعل من البرجوازية اليهودية الصغيرة التي تلقت ضربات قاسية بتصاعد موجة اللاسامية، ممّا أجبرها على التنقل من بلد الى آخر، وكان ذلك نتيجة لتشابك انهيار الاقطاع وانحطاط الرأسمالية. وخلال قرون طويلة لعب اليهودي دور التاجر، والمرابي، والخمّار، ووكيل السيد الاقطاعي، والوسيط في كل الأمور. وجاءت المحاولات الصهيونية، منذ نهاية القرن التاسع عشر، امتداداً لدور اليهودي، منضبطة على ايقاع ومصالح الدول الاستعمارية^(٢١).